الحصة الثانية في مقياس نظرية النظم (نموذج بحث)

للطلبة السنة الثالثة ليسانس

لسانيات عامة

السداسي الخامس

الفوج : 04-03-02-01

عنوان البحث : فكرة النظم عند بعض النقاد والمتكلمين و اللغويين العرب

خطة البحث :

مقدمة:

المطلب الأول : مفهوم النظم عند النقاد العرب القدماء

الفرع الأول :تعريف النظم لغة واصطلاحا

الفرع الثاني :فكرة النظم عند النقاد

1- مفهوم النظم عند سيبويه

2- مفهوم النظم عند بشر بن المعتمر

المطلب الثاني :مفهوم النظم عند المتكلمين

الفرع الأول:مفهوم النظم عند أبي حسن بن الرماني

الفرع الثاني : مفهوم النظم عند أبي سليمان بن الخطابي

المطلب الثالث : مفهوم النظم عند اللغويين العرب

الفرع الأول :ابن المقفع

الفرع الثاني :أبو هلال العسكري

خاتمة:

قائمة المصادر والمراجع

مقدمة:

تعتبر نظرية النظم نقطة التقاء لكثير من العلوم كالإعجاز والبيان و البديع والمعاني و الكلام و النقد وغيرها وهذا ما جعلها تتسم بأهمية بليغة مما يستدعي منا كباحثين الغوص فيها وفي علومها حتى يتسنى لنا فهمها أكثر أو تقديمها بشرح مفصل خاصة في بعض النقاط التي تحتاج توضيحا

أكثر.

وقد سار البحث وفق منهج وصفي تاريخي لأنه يتتبع تطور النظم عند النقاد والمتكلمين وأهل اللغة،حيث كانت إشكاليه متمثلة في :ما هو النظم ؟ وكيف عبر النقاد عن فكرة النظم ؟ وهل أصحاب الإعجاز استطاعوا توصيل فكرة النظم أم لا ؟ وكذا أصحاب اللغة ما هي وجهة نظرهم حول النظم؟

كل هذه التساؤلات أجيب عنها وفق خطة تمثلت في مطالب ثلاث وكل مطلب يتناول اختصاص معين ومن يمثله وكيف تناول فكرة النظم، ومن أجل إنجاز هذا البحث استعملت مجموعة من الكتب في مجال البلاغة و النظم لها علاقة بالموضوع .

المطلب الأول : مفهوم النظم عند النقاد العرب القدماء

الفرع الأول :تعريف النظم لغة واصطلاحا

جاء في معجم العين :"نظم النظم نظمك خرزا بعضه إلى بعض في نظام واحد ،وهو في كل شيء حتى قيل :ليس لأمره نظام أي لا تستقيم طريقته ،والنظام :كل خيط ينظم به لؤلؤا أو غيره فهو نظام"[1].

وفي صحاح العربية النظم هو من:"نظمت اللؤلؤ أي جمعته في السلك والتنظيم مثله ومنه نظمت الشعر ونظمته ،والنظام: الخيط الذي ينظم اللؤلؤ... ويقال لثلاثة كواكب من الجوزاء :نظم"[2]

وفي المصباح المنير :"نظمت الخرز نظما من باب ضرب،جعلته في سلك ونظمت الأمر فانتظم أي أقمته فاستقام وهو على نظام واحد ،أي نهج غير مختلف ،ونظمت الشعر نظما"[3]

أما في لسان العرب لابن منظور فإن النظم عنده:" التأليف نظمه ينظمه نظما ونظمه فانتظم وتنظم،نظمت اللؤلؤ أي جمعته في السلك والتنظيم مثله ومنه نظم الشعر نظمته ،ونظم الأمر على المثل وكل شيء قرنته بآخر أو ضممت بعضه إلى بعض فقد نظمته ،والنظام كما نظمت فيه الشيء من خيط وغيره وكل شعبه منه وأصل النظام ونظام كل أمر ملاكه والجمع

---

[1]- الخليل بن أحمد الفراهيدي ،كتاب العين ،تحقيق مهدي المخزومي ،وإبراهيم السامرائي ،دار ومكتبة الهلال ،ص :165

[2]- الجوهري :الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ،تحقيق أحمد عبد الغفور عطار ، دار العلم للملايين ، بيروت ،ط3 ،1984، ص :2041 .

[3]- أحمد بن المقري القيومي :المصباح المنير في غريب الشرح الغريب ،تحقيق عبد العظيم الشناوي ، دار المعارف ،ط2،ص :612

أنظمة و أناظيم ونظم"[1]

و جاء في مختار الصحاح أنظم اللؤلؤ جمعه في السلك وبابه ضرب ونظمه تنظيما مثله و منه نظم الشعر و نظمه و النظام الخيط الذي ينظم به اللؤلؤ ونظم من لؤلؤ و هو في الأصل مصدر و النظام الاتساق "[2].

أما اصطلاحا فنجد تعريفاته كثيرة ومتنوعة فالجرجاني يعرفه بقوله:"ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو وتعمل على قوانينه وأصوله وتعرف مناهجه التي نهجت ،فلا تزيغ عنها وتحفظ الرسوم التي رسمت لك فلا تخل بشيء منها "[3].

ويقول الدكتور صالح بلعيد :"هو تأليف وضم مجموعة من العناصر المتحدة في العملية اللغوية ليكون الكلام حسنا ،حسب خصائص معينة هي :

- حسن اختيار أصوات الكلمة
- تعليق الكلمة في ذاتها
- تعليقها بما يجاورها وليس بضم الكلمات كيفما وجدت.
- مراعاة الموقع النحوي الأصيل حسب ما تقتضيه بيئة العربي.
- مراعاة المعنى المباشر غير المنزاح والمعنى غير المباشر. [4]

نستخلص مما سبق بأن النظم هو ضم الكلمات حسب ما يقتضيه الحال وفق تقليد مأثور عن العرب باعتباره الأساس الحقيقي للبلاغة ،وهو التأليف في الكلام ليصبح حسنا مقبولا.

الفرع الثاني :فكرة النظم عند النقاد العرب

1- مفهوم النظم عند سيبويه

تكلم العرب اللغة العربية في الجاهلية سليقة ،وكانت فصاحتهم عالية وتجلى النظم عندهم في تمييز شاعر عن آخر ولما جاء القرآن أبهر العرب بـ

---

[1]- ابن منظور :لسان العرب ،دار صادر ،بيروت ،ط3،2004،ص :12

[2]- محمد بن أبي بكر الرازي :مختار الصحاح ،دار الكتاب العربي ،بيروت ،198،ص :668

[3]- عبد القاهر الجرجاني :دلائل الإعجاز ،تحقيق محمد رشيد رضا ،دار المعرفة ،بيروت ،ط3،2001، ص :63

[4]- صالح بلعيد :نظرية النظم ، نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز ،ص :93

لاغته ونظمه العجيب وحسن سبكه ،حتى قيل :"ومن أعجب ما رأينا في إعجاز القرآن وإحكام نظمه ،أنك تحسب ألفاظه هي التي تنقاد لمعانيه ،ثم تتعرف ذلك وتتغلغل فيه ،فتنتهي إلى أن معانيه منقادة لألفاظه ثم تحسب العكس ،و تتعرفه مثبتا فتصير منه إلى عكس ما حسبت ،وما إن تزال مترددا على منازعة الجهتين كلتيهما ،حتى ترده إلى الله الذي خلق في العرب فطرة اللغة ثم أخرج من هذه اللغة ما أعجز تلك الفطرة"[1].

ومع بداية العصر العباسي اختلط العرب بغيرهم من الأمم المجاورة ، بسبب انتشار الإسلام فبدأ الذوق العربي يتشوه وتفشى اللحن ،فكان القرآن الكريم أول المصادر والمقاييس التي يلجئون إليها في تقويم لغتهم ،زيادة على الشعر العربي الذي كان يعتبر ديوان العرب ،فوجدوا دافعا للتأليف في مجال الأدب والبيان.

وقد تردد مصطلح النظم كثيرا في كتب العلماء قبل الجرجاني،ولكن لم تكن نظرية النظم بنفس الاسم بل المعنى فقط حيث كانت تحت مسميات عدة وقد ظهرت عند مجموعة من النقاد أمثال :

أ – سيبويه:

تحدث سيبويه عن ائتلاف الكلام وقد جعل مدار الكلام على تأليف العبارة وعلاقة الألفاظ بعضها ببعض،حيث يرى أن وضع الألفاظ في مواضعها دليل على حسن ائتلاف الكلام ،(النظم) ووضعها في غير موضعها دليل على فساده ،حيث قال :"هذا باب الاستقامة من الكلام والإحالة فمنه مستقيم حسن ومستقيم مال ،ومستقيم كذب ،ومستقيم قبيح ،وما هو محال كنب ،فأما المستقيم الحسن فقولك :"سأتيك غدا....، وأما المحال فأن تنتقد أول كلامك بآخره فتقول :"أتيتك غدا..... وأما المستقيم الكذب فقولك :"حملت حبلا ....،وأما المستقيم القبيح كأن توضع اللفظ في غبر موضعه نحو قد زيدا رأيت....، وأما المحال الكذب فأنت تقول :سوف أشرب ماء البحر أمس "[2].

فهنا نلاحظ أنه لمح لمصطلح النظم بكلمة الاستقامة وبذلك كان سيبويه أول من أقام الكلام الجيد وأسسه في بناء الكلام وضوابطه.

ب – النظم عند بشر بن المعتمر:

إن بشر بن المعتمر تحدث عن علاقة اللفظ بالمعنى حيث قال في

---

[1]- مصطفى صادق الرافعي :إعجاز القرآن والبلاغة النبوية /دار الكتاب العربي ،2007،ص :48

[2]- سيبويه :الكتاب تحقيق محمد عبد السلام هارون،دار الجيل ،بيروت ،ط1،ص :1-8

صحيفته:"وإياك و التوعر ،فإن التوعر يسلمك إلى التعقيد والتعقيد هو الذي يستهلك معانيك ويشين ألفاظك ومن أراد المعنى كريما فليلتمس له لفظا كريما ، فإن لمعنى الشريف اللفظ الشريف،ومن حقهما أن تصونهما عما يفسدهما ويهجنهما"[1].

فما جاء به بشر يدور معناه على علاقة اللفظ بالمعنى فعلى المتكلم على حد قوله أن يبتعد عن التوعر والتعقيد ويبحث عن الألفاظ الكريمة و الشريفة للمعاني الشريفة .

المطلب الثاني :مفهوم النظم عند المتكلمين

الفرع الأول:مفهوم النظم عند أبي حسن بن الرماني

لقد تحركت همم العلماء للبحث في وجوه الإعجاز القرآني وكان الوجه الذي حظي باهتمام كبيير هو نظمه العجيب وأسلوبه الفريد وبالتالي الكتب التي ألفت في إعجاز القرآن كان لها الدور الكبير في تطوير فكرة النظم حيث استثمروها وهم يدرسوا بلاغة القرآن الكريم،ومن بين المتكلمين الذين درسوا الإعجاز نجد الرماني وهو أحد أشهر من تناول النظم والإعجاز في القرن الرابع الهجري وقد سماه التأليف في رسالته حيث قال:"دلالة الأ سماء والصفات متناهية ،أما دلالة التأليف فليس لها نهاية ،كما أن الممكن من العدد له نهاية يقف عندها "[2]،فالكلمات تولد الجمل والجمل تولد عدد لا متناهي من المؤلفات.

حيث يرى الرماني أن البلاغة ثلاث طبقات عليا ودنيا ووسطى،وجعل الطبقة العليا هي بلاغة القرآن والطبقة الوسطى خصصها للبلغاء والفصحاء ، والأهم في هذا التقسيم هو عنايته باللفظ والمعنى والعلاقة بينهما عند حديثه عن التلاؤم بينهما[3]

الفرع الثاني- أبو سليمان بن محمد الخطابي :

يقول في رسالته"بيان إعجاز القرآن":" إنما يقوم الكلام بهذه الأشياء الثلاثة لفظ حامل،ومعنى بع قائم ورباط لهما ناظم وإذا تأملت القرآن وجدت هذه الأمور منه في غاية الشرف والفضيلة،حتى لا ترى شيئا من الأ لفاظ أفصح ولا أجزل ولا أعذب من ألفاظه،لا ترى نظما أحسن تأليفا وأشد ت

---

[1]- الجاحظ : البيان والتبيين ،تحقيق محمد عبد السلام هارون ،بيروت ،لبنان ،ج4،ص :135.

[2]- علي بن عيسى الرماني :النكت في إعجاز القرآن ،ضمن ثلاث رسائل في الإعجاز، نحقيق محمد خلف الله محمد زعلول سلام ،دار المعارف ،القاهرة ،ط4،ص :107.

[3]- وليد محمد مراد :نظرية النظم وقيمتها العلمية في الدراسات اللغوية عند عبد القاهر الجرجاني ، دار الفكر دمشق ، ط 1، 1983 ، ص:62

لاؤما و تشاكلا من نظمه"[1].

وتحدث الخطابي عن رسوم النظم حيث قال:" أما رسوم النظم ف الحاجة إلى الثقافة والحذق فيها أكثر،إنها لجام الألفاظ وزمام المعاني ،به تنتظم أجزاء الكلام و يلتئم بعضه ببعض فتقول له صورة في النفس يتشكل بها البيان"[2].

من خلال ما سبق يتضح أن جميع العلماء الذين دافعوا عن أهمية الأ لفاظ في النظم هم من المعتزلة وقد جاءت أقوالهم متطابقة مع عقيدتهم المقدسة للألفاظ بعد القرآن وقد أعجز الله به البشر من خلال نظمه.

المطلب الثالث:مفهوم النظم عند اللغويين العرب

الفرع الأول :ابن المقفع

أشار الكثير من الدارسين إلى فكرة النظم وذلك من خلال حديثهم عن الكلام وتحليله ودراسة الجملة ،وما يحدث فيها من تقديم وتأخير وحذف أو فصل وغيرها ،مما يدل على وجود هذه البذرة في صفوف النحاة والبلا غيين وابن المقفع واحد من الذين أشاروا إلى النظم في الكتب العربية يقول عن صياغة الكلام : " فإذا خرج الناس من أن يكون لهم عمل أصيل وأن يقولا قولا بديعا ،فليعلم الواصفون المخبرون أن أحدهم وإن أحسن وأبلغ ليس زائدا على أن يكون كصاحب فصوص وجد ياقوتا وزبرجدا ومرجانا فنظمه قلائد و سموطا وأكاليل ووضع كل فص موضعه، وجمع إلى كل لون شبهه وما يزيد بذلك حسنا فسمى بذلك صائغا رقيقا ،وكصياغة الذهب والفضة صنعوا منها ما يعجب الناس من الحلي والآنية "[3].

إذن شبه ابن المقفع النظم بحبات اللؤلؤ التي يضعها الصائغ منظمة واضعا كل لون في مكانه المناسب والأمر نفسه بالنسبة للكلام فمتى كانت الكلمات مرتبة منتظمة كان الكلام مستحسنا من الناس لنظمه .

الفرع الثاني - أبو هلال العسكري:

تحدث أبو هلال العسكري أيضا عن النظم في كتابه" الصناعتين"قائلا :"وحسن التأليف يزيد المعنى وضوحا وشرحا ،ومع سوء التأليف ورداءة الرصف والتركيب شعبة من التعمية "[4].

---

[1]- الخطابي :بيان إعجاز القرآن ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ، تحقيق محمد خلق الله أحمد ومحمد زغلول سلام، دار المعارف ، مصر ،ط3 ،1976،ص :27

[2]- المصدر نفسه :ص :27

[3]- حاتم صالح الضامن :نظرية النظم تاريخ وتطور دار الحرية للطباعة ،بغداد ،1979،ص :6

[4]- أبو هلال العسكري :الصناعتين ،تحقيق مفيد قميحة ،دار الكتب العلمية بيروت، ط1،ص :4161.

ويتكلم في مقام آخر عن الإخلال بالنظم بسبب عدم اختيار الألفاظ المناسبة يقول موضحا ذلك : " أن يكون لفظك شريفا عذبا ،وفخما سهلا ، مركزها ولم تتصل بسلكها وكانت قلقة في موضعها نافرة عن مكانها فلا تكرهها على اغتصاب الأماكن والنزول في غير أوطانها ..وينبغي أن ترتب الأ لفاظ ترتيبا صحيحا فنقدم منها ما يحسن تقديمه ونؤخر منها ما يحسن تأخيره"[1].

فتأكيده على ترتيب الألفاظ ووضعها في مكانها المناسب وحسن تقديمها أو تأخيرها هي إشارة إلى قضايا النظم دون التصريح بها.

خاتمة :

من خلال هذا الطرح حول فكرة النظم عند العرب القدماء الذين كانوا قبل الجرجاني نستنتج من مجموعة من النتائج هي:

- النظم هو تأليف في الكلام ليصبح حسنا مقبولا ،يكون بضم الكلمات حسب ما يقتضيه الحال وفق تقليد مأثور عن العرب .
- ما جاء به بشر يدور معناه على علاقة اللفظ بالمعنى فعلى المتكلم أن يبتعد عن التوعر والتعقيد ويبحث عن الألفاظ الكريمة والشريفة للمعاني الشريفة .
- يرى الرماني أن البلاغة ثلاث طبقات عليا ودنيا ووسطى.
- متى كانت الكلمات عند ابن المقفع مرتبة ومنتظمة كان الكلام مستحسنا وجيدا.
- يؤكد العسكري على ترتيب الألفاظ ووضعها في مكانها المناسب وحسن تقديمها أو تأخيرها .

قائمة المصادر والمراجع :

1- ابن منظور :لسان العرب ،دار صادر ،بيروت ،ط3 ،2004.
2- أبو هلال العسكري :الصناعتين ،تحقيق مفيد قميحة ،دار الكتب العلمية بيروت، ط1.
3- أحمد بن المقري القيومي :المصباح المنير في غريب الشرح الغريب ،تحقيق عبد العظيم الشناوي ، دار المعارف ،ط2.
4- الجاحظ : البيان والتبيين ،تحقيق محمد عبد السلام هارون ،بيروت ،لبنان ،ج4
5- الجوهري :الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ،تحقيق أحمد عبد الغفور عطار ، دار العلم للملايين ، بيروت ،ط3 ،1984 .
6- حاتم صالح الضامن :نظرية النظم تاريخ وتطور دار الحرية للطباعة ،بغداد ،1979،ص :6
7- الخطابي :بيان إعجاز القرآن ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ، تحقيق محمد خلق الله أحمد ومحمد زغلول سلام، دار المعارف ، مصر ،ط3 ،1976.
8- الخليل بن أحمد الفراهيدي ،كتاب العين ،تحقيق مهدي المخزومي ،وإبراهيم السامرائي ،دار

[1]- المصدر نفسه :ص :152.

ومكتبة الهلال .
9- سيبويه :الكتاب تحقيق محمد عبد السلام هارون،دار الجيل ،بيروت ،ط1.
10- صالح بلعيد :نظرية النظم ، نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز .
11- عبد القاهر الجرجاني :دلائل الإعجاز ،تحقيق محمد رشيد رضا ،دار المعرفة ،بيروت ،ط3،2001.
12- علي بن عيسى الرماني :النكت في إعجاز القرآن ،ضمن ثلاث رسائل في الإعجاز، نحقيق محمد خلف الله محمد زعلول سلام ،دار المعارف ،القاهرة ،ط4.
13- محمد بن أبي بكر الرازي :مختار الصحاح ،دار الكتاب العربي ،بيروت.
14- مصطفى صادق الرافعي :إعجاز القرآن والبلاغة النبوية /دار الكتاب العربي ،2007.
15- وليد محمد مراد :نظرية النظم وقيمتها العلمية في الدراسات اللغوية عند عبد القاهر الجرجاني ، دار الفكر دمشق ،ط1 ،1983 .